ادب عربی، سال ۹، شمارهٔ ۱
بهار و تابستان ۱۳۹۶

الشعر القصصي عند خليل مطران في مرآة النقد الاجتماعي

ناصر قاسمي*
أستاذ مساعد في قسم اللغة العربية و آدابها بجامعة طهران برديس فارابى
زين‌العابدين فرامرزي
أستاذ مساعد في قسم اللغة العربية و آدابها بجامعة گنبد كاووس

(من ص ۲۳۱ الى ۲۴۸)
تاريخ الاستلام: ۱۳۹۵/۱۰/۲، تاريخ القبول: ۱۳۹۶/۶/۲۹

الملخص

الشعر القصصي هو شعر يروي أحداث معينة مصوغة على شكل قصة، وهو الذي يذكر الوقائع والحوادث في ثوب القصة، وكان خليل مطران رائداً من روّاد التجديد في الشعر العربي الحديث، ومن المظاهر الجديدة التي قام بها مطران هو الشعر القصصي المتميّز. وهذه المقالة تهدف إلى الكشف عن القصة في شعر مطران من خلال التتبع في أشهر قصائده، ورصد أهدافه من وراء هذه الأشعار ببعديها التاريخي والاجتماعي بالاستعانة من منهج النقد الاجتماعي. وأراد مطران من قصائده القصصية بالاستفادة من الإسقاط التاريخي، توعية الشعوب الضعيفة وتحريضها على تحطيم قيودها والثورة في وجه الظالمين وإثارة الحمية والاندفاع في النفوس وبناء مستقبل مشرق، واختار بعض موضوعاته من واقع الحياة للدعوة إلى الإصلاح والمثالية وإلى التمسك بالأخلاق وأهداب الفضيلة. وكان لشعره القصصي دور تنويري على مستويين: الأول سياسي وهو مواجهة الاستبداد الشرقي (العثماني، العربي)، والثاني إخراج القصيدة العربية في مرحلة ما بعد «الإحياء» أو «الانبعاث» من هيكلية عمومية متوارثة ثابتة إلى وضع فردي متحول.

المفردات الرئيسة: الشعر القصصي، النقد الاجتماعي، خليل مطران، الرومانسية.

*. البريد الإلكتروني للكاتب الـمسؤول: *naserghasemi@ ut.ac.ir*

Archive of SID
www.SID.ir

۱. المقدمة

الشعر القصصي *(narrative poetry)* قصة تُقدّم شعراً وتتوفّر فيه العناصر الفنية للقصة و«هو شعر يروي أحداث معينة مصوغة على شكل قصة، وهو الذي يذكر الوقائع والحوادث في ثوب قصة تساق مقدماتها، وتقصّ حالاتها ومناظرها وينطق أشخاصها الذين يترابطون بنسبة دورهم فيها.» (الخفاجي، ۱۹۹۲: ۹۰) لو رجعنا إلى الشعر العربي القديم، لعثرنا على أجزاء كثيرة من قصائد تتجلى فيها ملامح القصة وسماتها العامة. وأغلب الظن أن الشعراء كانوا يدركون – من خلال القصص الدينية وأحداث الأساطير – ما للقصة من متعة ومزية تؤهلها للذيوع والانتشار، ولذلك راحوا يوشّحون أشعارهم بالأحداث والشخصيات، الأمر الذي أدى في عهد ما – يختلف من أدب إلى آخر – إلى بروز فن القصة الشعرية التي لا تختلف في مفهومها عن مفهوم القصة والشعر معاً. وحرص العرب على تسجيل أو نقل ذلك من ناحية أخرى، وكان الشعر خير من يحمل هذه المهمة التي جعلت منه شعراً قصصّياً (القيسي، ۱۹۸۰: ۱۰).

ومن خلال ما اطلعنا على تاريخ الأدب العربي وجدنا أن معظم شعراء العرب في العصور المختلفة قد أغنوا الشعر العربي بقصصهم، إذ نلاحظ أن الكثير من الشعراء تناولوا القصة الشعرية في دواوينهم بدءاً من امرئ القيس والنابغة الذبياني وعنترة وهم خير ممثلين لريادة فن القصة الشعرية، ومروراً على الحطيئة وجميل بثينة وعمر بن أبي ربيعة الذين هم من أعظم الشعراء الذين أحسنوا فن القصة ووصولاً إلى المتنبي وابن الرومي والبحتري وانتهاءاً بحافظ إبراهيم وأحمد شوقي وإيليا أبو ماضي وخليل مطران.

إن خليل مطران كان رائداً من رواد التجديد في الشعر العربي الحديث وقد اعترف أكثر النقاد والدارسين العرب ممن عاصروا مطران والذين جاءوا بعده بريادته لحركة التجديد في الشعر العربي الحديث، ومن المظاهر الجديدة التي قام بها مطران في الشعر العربي الحديث هي وحدة القصيدة، إذ إن القصيدة عنده وحدة كاملة لا يحذف منها بيت ولا يقوم بيت على بيت، وكتابة القصائد المطولة التي كانت هذه التجربة من أهم انجازاته لأنها تثبت قدرته على كتابة مئات الأبيات من قافية واحدة وروي واحد، وكذلك اختيار عنوان مستقل للقصيدة ولعل خليل مطران كان من أوائل من أشاع هذا الأمر. والأهم منها هو الشعر القصصي المتميّز الذي ما جاء به مطران لا عهد للعربية به قبله، فيعود تجديده إلى ثقافته الغربية العالية.

Archive of SID

www.SID.ir

يحاول هذا المقال الإجابة عن هذه الأسئلة التالية: أولاً ما هي توجهات مطران في قصصه الشعرية؟ ثانياً وما هي المضامين التي تناولها مطران في شعره القصصي؟ ثالثاً وما هي الأهداف التي قصدها الشاعر وراء هذه الأشعار؟

هناك دراسات عديدة تناولت حياة خليل مطران وشعره، أما في مجال الشعر القصصي وما يرتبط بهذا فلا نجد دراسات معينة إلا بعض دراسات تطرقت إليها ضمنياً ونذكر منها: مقالة «خليل مطران بين الشعر التاريخي والنضال السياسي» لمنصورة زركوب وزهرا سليمانبور المنشورة في مجلة العلوم الإنسانية سنة ۲۰۱۲م في عددها ۱۹، حيث تتحدث المقالة عن موضوع التاريخ وعلاقته بالشعر السياسي في شعر خليل مطران. مقالة «مظاهر رومانتيك در اشعار خليل مطران» لفيروز حريرچي ومجتبى محمدي المنشورة في دو فصلنامه علوم ادبى سنة ۱۳۸۹ش في عددها ٥، وهي عبارة عن دراسة ملامح الرومانسية وموضوعاتها في شعر خليل مطران مثل الموت، والحب، والطبيعة و.... أطروحة «خليل مطران و اشعار داستانى– تصويرى» للطالبة فاطمة دهقاني احمد آبادي في مرحلة ماجستير بجامعة طهران الحرة سنة ۱۳۷۸ش والتي تطرقت إلى المدرسة الرومانسية في ديوان خليل مطران شرح بعض أشعاره الملحمية والقصصية. وأخيراً مقالة «القصص الشعرية في ديوان إيليا أبي ماضي» لصادق فتحي وشلير فتحي المنشورة في مجلة بحوث في اللغة العربية وآدابها سنة ۱۳۹۰ش في عددها ٥، حيث ذُكرت فيها موضوعات القصة الشعرية في ديوان الشاعر منها؛ الوطنية، والتاريخية، والأسطورية، والوعظية و... .

إذ إنّ كاتب المقال قام بدراسة هذا الموضوع من رؤية تختلف عما قامت الدراسات السابقة من دون أن يجحد أهمية تلك الدراسات، فقدّم لأجل الوصول إلى الإجابة عن أسئلة البحث، موجزاً عن حياة الشاعر بسبب ارتباطها الوثيق بهذا الاتجاه الأدبي، فأردفه بالشعر القصصي ببعديه عند مطران ومن ثم تحدث عن تحليل مضامين الأشعار القصصية وتبيين مقاصد الشاعر من وراء الأشعار، وذلك بالاستعانة من منهج النقد الاجتماعي الذي يقوم بدراسة النص الأدبي للتعرف على المجتمع وقضاياه.

بما أن السياسية كان لها دور واضح في تكوين مطران الأدبي والإبداعي فقد جرى الشعر على لسانه وهو يشعر في أعماقه ببؤس وطنه وما يرزح تحت أثقالها من استبداد العثمانية، فعاهد نفسه منذ حداثته أن يحارب الظلم والاستبداد من خلال الشعر، وكان شاعراً عارفاً

Archive of SID

www.SID.ir

بمحن أمته وشعبه وناظراً إلى ظلم واستبداد الاستعمار، فنظم قصائد ثورية تندد بالاستعمار فاستلهم من التاريخ لتصوير الأحداث من وراء القناع التاريخي وأن شعره أصدق تصوير لهذه الأحداث التي تعدّ وثائق مهمة للتعرف على المجتمع وأحداثه الذي عاش فيه الشاعر.

۲. خليل مطران حياته ونشأته

خليل مطران هو شاعر القطرين ومن الرواد الذين أخرجوا الشعر العربي من أغراضه التقليدية إلى أغراض حديثة، وقد ولد خليل مطران في مدينة بعلبك في شهر تموز عام ۱۸۷۲م، منحدراً من أسرةٍ لبنانية «ترقى بجذورها الأولى إلى قبائل الأزد التي نجت بنفسها من سيل العرم، وانهيار سد مأرب في اليمن فهاجرت إلى الحجاز، وهبطوا بنبع غسان، فسمّوا بالغساسنة، ثم رحلوا إلى بلاد الشام واعتنقوا بعد ذلك المسيحيّة» (جحا، ۱۹۹۵: ٦٦).

نشأ مطران في بلد عربي من أسرة عربية تعرف بعائلة (أولاد نسيم). وعندما التحق بالمدرسة البطريركية في بيروت تعلم فيها اللغة الفرنسية على أستاذ فرنسي، لم يكد يتم دروسه حتى أظهر موهبة خارقة في نظم الشعر، و«كانت نفسه أُشربت حب الحرية، فأخذ يتغنّى بشعر ضد الاستعمار العثماني الذي كان يحكم وطنه حكماً ظالماً» (عويضة، ۱۹۹٤: ٦-۷).

فقد عاش مطران بين عامي (۱۸۷۲-۱۹٤۹م)، وهذه الحقبة كما هو معروف شهدت الكثير من التحولات ليس في العالم العربي فحسب، بل شملت جميع أنحاء العالم، إذ شهدت حربين كونيتين والكثير من الحروب الإقليمية، «لذا لم يكن العصر الذي عاشه الشاعر عصراً مستقراً، بل كان عصراً يجمع النقيضين فهو عصر الظلمة والنور، وعصر الاستبداد والدستور، وعصر التسلط الاستعماري والكفاح ضد الاستعمار وعصر القوة والضعف...» (عطا، ۱۹۵۹: ۱۳). وهذه التناقضات من شأنها أن تفرز لنا رجالاً يمثلون تلك المرحلة فكرياً وسياسياً وعلمياً، فهو عصر يشبه عصر الثورة الفرنسية وما شهده من ظهور مفكرين أثْروا الساحة الأدبية بكل ما هو جديد فظهرت المذاهب الأدبية المناهضة للكلاسيكية الإتباعة فظهرت الرومانسية كردّ على تلك المذاهب القديمة المتمسكة بخيوط الماضي.

Archive of SID

www.SID.ir

۳. الشعر القصصي عند خليل مطران

يرى شوقي ضيف أن ما جاء به مطران من فن جديد في الشعر العربي يعود لثقافته الغربية العالية، فهو يحاكي الغربيين في الاتجاه الأدبي الجديد وهو الاتجاه القصصي الدرامي المتصل بالحياة الإنسانية فهذا الأسلوب – أي الأسلوب القصصي – لا عهد للعربية به قبل مطران فهذا الأسلوب لا يقف عند الحوادث اليومية والخيالية، بل يوسعه ويدخل فيه بعض حوادث التاريخ كالحرب بين فرنسا وألمانيا و....(ضيف، ۱۹۹۲: ۱۲۷) وما قصيدة «الجنين الشهيد» إلا تمثيل صادق لحادثة وقعت في القاهرة أو قصيدة «الطفلان» التي تعد مونولوجاً تمثيلياً مستمداً إما من واقع الحياة اليومية أو ما تخيله الشاعر تصويراً لبعض جوانب الحياة.

بدت ثقافة مطران الأوروبية في نظمه بعض القصائد بأعلام الأدب الغربي: مثل موليير، وفيكتور هيجو، ولامارتين و... وكثيراً ما عمد مطران في شعره إلى القصة وما يرجّح أنه تأثر ببعض النماذج القصصية التي عثر خلال مطالعاته في الأدب الغربي، لا سيما الفرنسي.

والجدير بالذكر أن السياسية لعبت دوراً واضحاً في تكوين مطران الأدبي والإبداعي، فقد جرى الشعر على لسان خليل مطران وهو يشعر في أعماقه ببؤس وطنه وما يرزح تحت أثقالها من استبداد عبد الحميد وبطانته، فعاهد نفسه منذ حداثته أن يحارب الظلم والاستبداد من خلال الشعر، فنظم قصائد ثورية تندد بالاستعمار العثماني قبل بلوغه سن الثامنة عشرة وقد وزعتْ في بيروت وكانت من دون توقيع خوفاً من بطش السلطان (الحاوي، ۱۹۷۸: ۷/۲).

وبما أن مطران كان يراعي جانب الحذر والاحتياط في نظم أشعاره، فهو ينظم أشعاره وراء حجاب أي يستخدم فيها الإسقاط التاريخي ليبث سخطه على الاستبداد والمستبدين، فنراه يستلهم موضوعات قصصه من المصادر التاريخية والأساطير والقصص الشعبية ليعبّر بها عن عواطفه السياسية المكبوتة اتجاه الخليفة العثماني وما يترّله بالأحرار من قتل وفتك (ضيف، ۲۰۰۳: ۱۲۸).

مما تقدّم يتضح أن شعر مطران القصصي شديد الصلة بالحياة والناس، فهو نصير المظلومين والضعفاء، ومعارض الظالمين وأبناء الفساد، وقد لعبت الحوافز النفسية، والسياسية دوراً بارزاً في تشكيل الإبداع الشعري لدى مطران، وفضلاً عما تقدّم يمكن أن نعدّ العصر الذي عاش فيه الشاعر أحد المكونات الرئيسة في تفجر الشاعرية عند مطران. ويكاد ينعقد إجماع الشعراء والنقاد على ريادة خليل مطران للشعر القصصي في الأدب العربي الحديث، وعدّهُ البعض

Archive of SID

www.SID.ir

«خالق القصة بمعناها الصحيح في الديوان العربي» (عطا، ۱۹۵۹: ٦١). ويتخذ الشعر القصصي في شعر مطران اتجاهين؛ الأول القصص التاريخية والآخر القصص الاجتماعية.

۳-۱. القصص التاريخية

الشعر القصصي لا سيما التاريخي هو من نتاج مطران واختصاصه، وعرفه الأدب العربي قبل النهضة على شكل محاولات محدودة وضيقة جداً، وعاجزة عن بلوغ المستوى الفني المطلوب. المعروف والثابت تاريخياً أن العرب قصّروا عن هذا النوع من الشعر، «ولم يعرفوه لأسباب كثيرة أهمها إثنان: غرقهم في الفردية والأنانية، ومحدوديتهم ضمن قيود الوزن والقافية واستقلالية البيت» (عشقوتي، ۱۹۹۱: ٥٥).

استطاع مطران، في هذا النوع من الشعر التعبير عن حقائق إنسانية عامة وشاملة، فكان داعية ثورة ومصلحاً أخلاقياً اجتماعياً. استمدّ موضوعات قصصه من صفحات التاريخ ومن وقائعه وأحداثه وحكاياته، وكذلك من خياله الواسع والخلاق، على مستوى كبير من القدرة والضخامة والبراعة.

ويتخذ مطران هذا الغرض من الشعر رمزاً يعبّر من خلاله عن مشاعره الثورية المكبوتة، وخلجاته الوطنية، «فيجسم في هذا اللون من الشعر أفعال الطغاة وينديد بظلمهم، ويمعن في تصوير بطشهم ونكالهم بالأبرياء والضعفاء، نافثاً من دقة وصفة وروعة بيانه مشاعر الحقد والكراهية ضد العتاة الذين حجّرت السلطةُ قلوبهم وجمدت دماء المحبة والعطف في عروقهم، فيحيل بشاعريته الفذة مشاهد الألم والرعب، وفضائع القسوةِ والتقتيل، لينمي روح التمرد والرفض لكل أشكال العبودية والاستغلال والتسلط» (الطباع، ۲۰۰٦: ۳٤٧/۱).

وقد اضطر مطران إلى مواجهة يحمل في طيّاته رموزاً مبطّنة تتخطّى الأسماء والخصوصيات بسبب محيطه الغريب وظروف حياته وعصره الضاغطة ومسيحيته الراسخة في أعماق روحه، للتحدث بشكل شمولي ينطبق على كل زمان ومكان. فمطران يسمع صوت عقله ويعي مهمته بين الناس كمصلح اجتماعي؛ فتغلّت من حدود الفردية الضيقة لينقل آلام الآخرين بصدق وانفعال؛ فكان صوت الحق الهادر في أودية الجهل والصارخ في براري التحجّر واللامبالاة. وهو يؤمن بأن كل فن لا يأخذ من الحياة بنواحي الأخلاق والكمال والمثل العليا مريض ويولد ميتاً (عشقوتي، ۱۹۹۱: ٥٦).

Archive of SID

www.SID.ir

قد نشأ مطران نشأة الشاعر الثائر الحر، وكل شيء كان مهيئاً له ليكون كذلك: شعبه مستعبد، وهو عاشق الحرية متشرب بروح الثورة الفرنسية، وهو مضطهد ملاحق مهدد بالقتل، وفوق هذا هو شاعر حساس يتجاوب مع نفسه وبني قومه. وفي حديث مع الشاعر يجيب على سؤال حول غرض الشعر قائلاً: «لقد رأيت أن الشعر كان عاملاً قوياً في نهضة الدول، فيجب أن يكون له غرض خاص في كل مقام. يجب أن لا يكون مجرد مدح وذم ومراعاة للظروف والأحوال. ويجب أن يكون للقصيدة غرض واحد. وإلى جانب هذا كنت أرى آلام الشعوب وتعاساتها وأنكرها وأعتقد أنها متأتية للشعوب منها لنفسها. أردت أن تشعر الشعوب بمسؤولياتها. أن تشعر بحقها في الحياة الحرة السعيدة، وأن لا تزل عن هذا الحق مرة واحدة لأن رجلاً حمل سكيناً وأراد منها أن تفعل ذلک. ومن أجل هذا الغرض نظمت قصائدي الكثيرة التي تؤلف المجموعة الضخمة التي أزمع على نشرها بعنوان «الطغاة» من قصيدة «السور الكبير» إلى قصيدة «نيرون» وما بعدها. التي عرضت فيها صور التاريخ وعبره ومسؤولية الشعب وحقها، بل واجبها في تقرير مصيرها» (مطران، ۱۹۵۷: ۳).

وقد اتخذت القصص التاريخية في شعر مطران شكل «الملحمة» وهي شعر قصصي طويل يدور حول البطولات والمعارك بأسلوب شعبي حافل بالخوارق التي تثير الإعجاب، وتكون القصص فيها مزيج من تاريخ الشعوب والأساطير، حيث يروي الشاعر أحداثها ويوجه العمل فيها بمهارة من غير أن يكون له نصب في ذلك العمل (الفاخوري، ۲۰۰۳: ٤٧٢ و خليل، ۲۰۰۷: ۸۵).

۳–۲. دراسة قصصه التاريخية من منظور النقد الاجتماعي

عالج مطران في قصصه التاريخية موضوعات قومية وطنية وسياسية وأخلاقية، فدعا إلى محاربة اليأس والخمول للتمسک بالأمل والحرية والإدارة، كما دعا إلى العلم والوعي والثورة على فساد الأخلاق والتقاليد البالية. وهاجم بعنف كل الظالمين والمستبدين ولم يوفّر الشعب المظلوم. فهو مثلاً ينتقد نابليون والفراعنة وكسرى وباني السور الكبير في الصين، وكل الذين حقّقوا أمجادهم وخلودهم، و بنوا ذلک، على دماء الضعفاء وعرق جبينهم. الأهم عنده بناء البشر قبل الحجر، بناء الأوطان على العلم والأخلاق والفضائل أساس كل وطن عظيم. (عشقوتي، ۱۹۹۱: ۵۷).

ومطران شأنه في ذلك شأن من عاصره من الشعراء درس التاريخ واستفاد من كبريات أحداثه، فنراه يستهل حياته الأدبية بملخص لقراءاته التاريخية جمعه في كتاب سماه «مرآة الأيام

Archive of SID

www.SID.ir

في التاريخ العام» لهذا لم يكن غريباً أن تتصدر ديوانه قصيدة من هذا اللون القصصي الجديد على الأدب العربي فأصدر قصيدته المعروفة بـــ (١٨٠٦-١٨٧٠) (مطران، ١٩٦٧: ١/١٥) معركة أتيينا وقد نظمها – كما أشرنا من قبل – عن الحرب التي دارت بين الفرنسيين بقيادة نابليون وألمانيا والتي انتصر في السنة الأولى (١٨٠٦) الفرنسيون ثم حدثت معركة ثانية انتهت بهزيمة الفرنسيين وانتصار الألمان في سنة (١٨٧٠)، وتلعب الثقافةُ دوراً كبيراً في مثل هذا الغرض الشعري لأن الأحداث لكي تؤثر بالقارئ يجب أن تكون نابعة من المجتمع نفسه أو من حادثة مشهورة.

ومن أمثلة هذا النوع الشعري في شعر مطران قصيدة «فتاة الجبل الأسود» و«مقتل بزرجمهر» و«نيرون» و«فنجان قهوة» وغيرها من القصائد. ونتوقف عند قصيدة «فتاة الجبل الأسود»، والجبل الأسود أحد دول البلقان التي كانت خاضعة لسيطرة الأتراك، ويقدم لنا الشاعر في هذه القصيدة مثالاً في الوطنية والتضحية وبطلة هذه القصة فتاة من سكان ذلك الجبل في مقتبل العمر تهاجم معقلاً للجنود الأتراك الذين سيطروا على وطنها واستعبدوا أهلها، فتثور بوجه الأعداء مرتدية زي الرجال وخافية ما يدل على أنوثتها. إلا أنها تحاصر وتغلب الكثرة الشجاعة فتفصح عن حقيقتها بتمزيق ما ترتدي كاشفة عن سترها أمام الأمير منتزعة بشجاعتها من الأمير هذا القول:

فَمَا بَلَـــدٌ تَفتَديــه النِّسا ءُ كهـــذا الفداء بمُستَعبدِ

(المصدر نفسه: ١/١٧٩)

ويمكن أن نميّز في هذه القصة الشعرية ما يعرف «بالخط الدرامي للأحداث» (أمين، ١٩٨٣: ١٣٥) وهذا الخط يتكون – كما هو معروف – من أول الحادثة الابتدائية أو المقدمة التي تشتمل على عرض سريع للأحداث، وثانياً حركة النهوض أو النمو بالأحداث وثالثاً العقدة التي يستمر بها الصراع وتتأزم الأمور وبعدها الهبوط أو الحل وأخيراً النهاية (المصدر نفسه: ١٣٥).

وقصيدة «فتاة الجبل الأسود» تشتمل على هذا النمط من نمو الأحداث وفق خط بياني متسارع الأحداث، مجتذب القارئ إلى معرفة ما سيحدث، ففي المقدمة عرض موجز لثورة أبناء الجبل الأسود على حكم الأتراك واشتراك أبناء الجبل من رجال ونساء في هذه الثورة، يلي هذه المقدمة مشهد أول حيث وزّع الأتراك عصاباتهم على مراصد الجبل للمراقبة، فتأخذ الأحداث بالتسارع فيصف الشاعر تضحية النساء بقوله:

Archive of SID

www.SID.ir

وأبلى النساءُ بلاءَ الرجالِ لَـدَى كـُلِّ مُعترِكٍ أَربَـدِ
نساءٌ لِـدانُ القـُدُودِ لها خُدودٌ كَـزهر الرياضِ النَدي
تَنَظَّمَ مِـن حُسنِها جَنَّـةٌ عَلَى ذلـك الجَبـلِ الأَجردِ

(مطران، ۱۹٦۷: ۱۷۹/۱)

ويمضي الشاعر يصف الخطة الحربية وكأنه يقود المعركة بنفسه قيادة حكيمة، وهكذا تتسارع الأبيات في براعة عجيبة ينقل بها القارئ إلى جو المعركةِ منحازاً إلى جهاد المناضلين الرافضين لسيطرة الأتراك، ويتضخم شأن القوة العسكرية التركية وفي هذا التأزم تظهر المفاجأة التي ينعقد فيها القصص انعقاداً محكماً فيه إعجاب وخوف وجرأة، فيقول:

فَفَاجَأَهُم هابـطٌ كالقَضاءِ في شَكـلِ غَضِّ الصَّبي أَمردِ
يَـدُلُّ سَنـاهُ و سيماؤه على شَـرفِ الجاهِ و المحتدِ
تَبيَّنَ هُلكاً فلم يَخشَـه وأقـدَمَ إقـدامَ مُستأسدِ
فأَفـرَغَ نارَ سُداسيَّه عَلَـى القومِ أيّاً تَصُبْ تُقصِدِ

(المصدر نفسه: ۱۸۱/۱)

ويفاجأ الجنود بفتى وسيم محترف في المعركة، وظنّوه أولاً أنه لاجئ ولكنه راح يفرغ مسدسه عليهم بدقة فلم تذهب أية رصاصة سدىً، وبعد صراع مرير بقتل العديد من جنود الترک استطاع الجنود القبض على هذا الفتى وساقوه إلى قصر الأمير وكشف عن صدره، فإذا هو فتاة في ريعان الشباب فذهل الأمير وكبَّر، وأما هي فقد قالت له:

وقالت: أمُهجَـةُ أُنثـى تَفي بثاراتِ صَـرعاكـم الهُمّدِ
ومِن خُلـُق الأتراكِ أن يُورِدُوا سُيُوفَهـم مُهَـجَ الخُـرَّدِ
فدُونَكُـم قتلـةٌ حُلِّلَتْ تَدِي مِـن دِمائكُم ما تَدِي

(المصدر نفسه: ۱۸۳/۱)

فقد قالت الفتاة للأمير بجرأة: هل قتلي أنا الأنثى يفي بصرعاكم؟ وأصغى الأمير إلى قولها فأعظم جرأتها وأكبر شجاعتها التي تفقد في الرجال وانصرف عن قتلها. وكما لاحظنا في هذه القصيدة يصوّر الشاعر البطولة والكفاح ويصف قوة الاستبسال في هذا الجهاد والتفاني من أجل الحرية، وأبلت النساء بلاء الرجال في كل معركة ويعتزّ الشاعر بهذا الكفاح في وجه هذا النظام.

Archive of SID

www.SID.ir

وفي قصيدة «نيرون» يتناول الشاعر قصة تاريخية تعود إلى عهد الرومان وتدور أحداث هذه القصة على شخصية الحاكم الطاغي (نيرون) محرّق روما الشهير الذي أحرق مدينة روما وقتّل أبناءها ليتسلى وهو يرى المدينة مستعرة بالنيران فقد صوّر مطران بطشه وطغيانه على شكل أبيات شعرية صوّر فيها المنكرات التي ارتكبها ذلك المستبد الطاغي فقتل أمه وزوجها اللذين أوصلاه إلى العرش بعدما قتلت أمه عمه الملك، واضطهد المسيحيين واتهمهم بأنهم من قام بإشعال النار في المدينة فجعلهم طعاماً للوحوش الجائعة (جحا، ۱۹۹۵: ۱۵۳).

هذه الأحداث التي تطرق إليها مطران في قصيدة «نيرون» تبدو للوهلة الأولى أنه يستعرض قصة تاريخية حدثت في زمان ومكان معينين فالزمان هو العصر الروماني والمكان هو مدينة روما الإيطالية، فهذه القصيدة لم تكن سرداً لأحداث تاريخية يقصد من ورائها إعادة أحداثها واستذكارها وإنما جعل من هذه الشخصيات في هذه الدراما رمزاً يصب فيه نيران غضبه على الطغاة من الحكام وخنوع الشعوب ورضوخهم لاستبداد الحكام، فقد اتسمت هذه القصائد التي تحمل الصبغة التاريخية بالنزعة الرمزية.

ويرى الدكتور شوقي ضيف أن وراء هذه القصص التاريخية نزعة رمزية كتبها مطران ليصوّر حياة الشعوب العربية المظلومة التي يظلمها المستعمرون وحكامها الجائرون، فهو يعرض هذا اللون من القصائد للطغاة وغدرهم بالشعوب. (ضيف، ۱۹۹۲: ۱۲۷) فنراه يدعو دعوةً حادّةً إلى الحريةِ والكرامةِ القومية داعياً إلى يقظةِ الشعوبِ، فيقول في (نيرون):

مَن يَلُم «نَيرونَ» إني لائمٌ — أمّةً لو كَهَرَته ارتَدَّ كَهرَا
أمَّةٌ لَو ناهَضَتهُ ساعـــةً — لَانتهَى عَنها وَشيكاً واثبَجَرّا
فازَ بالأُولى عَليها، ولَـهُ — دُونَها مَعذرةُ التاريخِ أُخرى

(مطران، ۱۹٦۷: ۷۳/۳)

فقد أراد مطران من قصيدة «نيرون» استنهاض همم الشعوب العربية وتفهيمهم أن الحاكم المستبد إنما يصنعه أبناء الشعب فأي شعب يسكت على الظلم والجور يجعل من حاكمه نيرون جديداً، فيقول في ختام القصيدة موعظة رائعة تستنهض الطاقات المضمرة في الشعوب العربية، فيقول:

كُلُّ قَومٍ خالِقو (نَيرُونِهم) — قَيصرٌ قيل لَه أَم قيل كِسرى

(المصدر نفسه : ۷۳/۳)

Archive of SID

www.SID.ir

أي أن الشعوب بذلها للسلطان وخضوعها لإرادته تجعل من الحاكم طاغية مستبد أو ما يطلق عليه الغذامي في نقده الثقافي «بصناعة الطاغية» (الغذامي، ۲۰۰۱ : ۱۹۰)، التي تصيب الأنا بالتضخم الفحولي، فيصبح الظلم عند ذلك الحاكم علامة القوة والسؤدد، مما يظهر إلى الوجود نيرون جديد.

كما يوظف مطران هذا المعنى في قصائد أخرى حفل بها ديوانه نذكر منها قصيدة «السور الكبير في الصين» والتي تشتمل على حوار يدور بين الشاعر والملك وقد بدا على الملك الهم والكآبة؛ لأنه قد مُنِيَ برعيّة خانعة راضية بالذل، فيقول الملك:

إني منيـــــتُ بأمـــــةٍ مخمـــورةٍ — من ذلها، ولها القناعة مشربُ

لا ظلمَ يغضبهم ولو أَودى بهم — أتعـــزُّ شأناً أمـــــة لا تَغضبُ

وإذا أذبت الشحم مِن أجسامهم — تعباً فإنّ نفـــوسَهم لا تَتعبُ

(مطران، ۱۹٦۷ : ۱/٦۰)

فهذا الشعب هو من يصنع من حاكمهِ طاغياً مستبداً يصنع ما يريد بشعبه، أما قصيدة «مقتل بزرجمهر» فيمكن اعتبارها قناعاً للأحداث التي شهدتها الساحة العربية في عهد السلطان الجائر عبد الحميد، فهي تحمل رمزيةً واضحةً أراد الشاعر صبَّ غضبه لما فعله عبد الحميد بوزيره المخلص (مدحت باشا) وشبهه بما فعل (كسرى) عندما قتل وزيره (بزرجمهر) لغير ما سبب، ولم يستطع أحد أن يقف في وجه (كسرى) لأن الشعب الضعيف المستسلم لم يكن يجرؤ على محاسبة مليكهِ المستبد، فلم يكن للشعب إلا أن يطيع ويعيش على الذل، ولا يتفوه أحد من أفراد الشعب بكلمة سوى ابنة الوزير (فرهود، ۱۹۹۸: ٥).

والشاعر في هذه القصيدة لا يلوم كسرى الذي يستبد ويتجبر بقدر ما يلوم شعبه الذي يرخي له العنان، ويقف منه موقف المتفرج كأنه قطيع نعاج تُقاد قانعة راضية إلى المذبح. إلاّ أنه أراد استنهاض همم النساء فصوّر ابنة الوزير (بزرجمهر) بصورة الفتاة الثائرة وجعلها تخرج طالبة بثأر والدها، وفي موقفها هذا جعلت من الرجال يخجلون من أنفسهم (جحا، ۱۹۹٥: ۱٤۹). وعندما خرجت وتعجب الرجال من خروجها باعتبارها امرأة تخضع للتقاليد البالية التي لا تسمح لها بترك المترل، تجيبهم ما يكون للنساء أن ترفع سترها في الرجال ولكن هذه الجموع أشباه رجال والنساء الثائرات أفضل من الرجال المذلولين. فيقول على لسان ابنة الوزير:

Archive of SID

www.SID.ir

لا عـــارَ عِندَهم كَخَلعِ نِسائهِم أستارَهـــُنّ، ولـــو فعَلنَ ثُكالي

(مطران، ١٩٦٧: ١/١٢٣)

فتقول لرسول كسرى الذي أرسله ليرى لماذا نزعت الفتاة أستارها:

فَارجِع إلى الملكِ العظيمِ وقُل لَه: ماتَ النَّصيحُ وعِشتَ أنعمَ بالا

وبَقيتَ وَحدكَ بَعدَهُ رجلاً فَسُد وارعَ النِّساءَ و دَبِّر الأطفالا

ما كانت الحسناءُ تَرفعُ سِترَها لَو أنّ في هذي الجموعِ رجالا

(المصدر نفسه: ١/١٢٣)

كما لاحظنا أن ردّ الفعل للفتاة عبارة عن المواطنين الصغار الذين ليس لهم صوت يسمع، مع أنهم يشعرون المحسنين والمسيئين للدولة. ومن ذلك نجد الشاعر استطاع بهذه القصيدة أن ينبّه الجمهور بما يفعله الحاكم الظالم (عبدالحميد) من قتل وزيره العادل (مدحت باشا)، وبيّن أن ما يرتكبه هذا الحاكم لا يكون إلا بسبب المجتمع نفسه.

٣-٣. القصَص الاجتماعية

من القصائد التي التقطها مطران من صميم الحياة الاجتماعية والبيئة التي يعيش فيها، أمثال «الجنين الشهيد» و«الوردة والزنبقة» و«الطفلان» و«بنت شيخ القبيلة» و«حكاية عاشقين» و«وفاء».

يتصدّى مطران في شعره القصصي الاجتماعي لمشاكل الناس ولشؤون المجتمع، وقد رآه يتخبّط في الآفات تنخره كالسوس، وفي المفاسد والموبقات الأخلاقية، لذلك صبّ اهتمامه في الدعوة إلى الإصلاح والمثالية وإلى التمسك بالأخلاق وأهداب الفضيلة. اختار بعض موضوعاته من واقع الحياة واقتطف البعض الآخر من خياله الخصب دون التفلّت التام من الواقعية. فالحادثة يمكن أن تحصل في أي مجتمع. صاغ الشاعر كل ذلك بطريقة قصصية تسلّي وتفيد في آنٍ، بعيداً عن الوعظ المباشر. فأتت قصصه أفعل في النفوس وأقرب إلى الأفهام، تجمع بين الكلاسيكية المجدّدة وبين الرومنطيقية التي لا تعرف الأبراج العاجية، إنما تنزل بين الناس، تنظر في عيونهم وتأخذ بأيديهم وتضمّ آلامها إلى آلامهم بغية التطهر بالألم والعذاب، والبحث عن المثالية والكمال (عشقوتي، ١٩٩١: ٦٥).

Archive of SID

www.SID.ir

المحور الأساسي في قصصه هو الحبّ والبؤس وتحبّط الإنسان في الخطيئة والرذيلة. فهو يدعو إلى تغليب جانب الخير على جانب الشر الذي يتحكّم بالإنسان ويشدّ به إلى هاوية الجهل والضياع. ويحاول الإمساک بيده للعمل بصمت لا يعرف المناداة على السطوح. إن القارئ يلمس في قصصه نفحة رومنطيقية تنبعث من طبعه الحزن الانفعالي الشديد التأثر. شعر مطران شديد الصلة بالحياة وبالناس، فهو نصير المظلومين والضعفاء، وعاطفته المتأججة بالنبل تنحني من الأسى لسقوط الخير تحت مخالب الواقع وحتميته المستبدة (المصدر نفسه: ٦٦).

كما يمكن عدّ هذا اللون من الشعر دراما شعرية لما جمع فيه الشاعر من خصائص فن الدراما من حركة وصراع وتصوير للشخصيات وكشف عن دوافع النفوس وخفاياها. (الفاخوري، ۲۰۰۳: ٤٧٥) وأكثر قصائد هذا اللون تصديقاً لفن الدراما قصيدة «الجنين الشهيد» التي عدّها النقاد من أرقى قصص مطران الاجتماعية وقد قدم لها الشاعر بقوله: «هي قصة جرت في مصر حضر الناظم وقائعها، كما شهد حكاية العاشقين ووصفها بحقيقتها لتكون ذكرى وعبرة» (مطران، ١٩٦٧ : ٢٢٣/١).

٣-٤. دراسة قصصه الاجتماعية من منظور النقد الاجتماعي

يستمد خليل مطران أحداث هذا اللون من القصص من الحياة اليومية والمجتمع الذي يعيش معه، فهي عبارة عن نقل حي لصورة الأحداث التي وقعت في مجتمعٍ ما فأراد الشاعر إيصالها إلى القارئ للاستفادةِ من العبر المستقاة من تلك القصص، وهي التي أثبتها الشاعر في غاية الشعر عندما قال: «فشرعتُ أنظمه لترضية نفسي حيث أتخلى، أو لتربية قومي عند وقوع الحوادث الجلى» (المصدر نفسه: ٨/١).

فقد اعتمد مطران في «الجنين الشهيد» على نظام القصيدة الخماسية حيث تشكلت هذه القصيدة من ١١٤ خماسية فضلاً عن السداسية الأخيرة وبلا شك فإنها قصيدة طويلة نظمها الشاعر على البحر الطويل. وقد وصفها البعض أنها «إلياذة الشعر الحاضر، ومعلقة النهضة الشعرية العصرية» (الطناحي، ١٩٦٥: ١٦٥).

يقول مطران حول هذه القصيدة: نظمت هذه القصيدة المطولة عام ١٩٠٣، حاولت أن أنشرها في المجلات إلا أن أصحاب المجلات رفضوا نشرها لما تحمله هذه القصيدة من جرأة لم تكن معروفة في الشعر، ثم نشرت في مجلة الهلال عام ١٩٠٥ وقدم لها الأستاذ جرجي زيدان

Archive of SID

www.SID.ir

قبل نشرها (مطران، ١٩٦٧: ٥١/٢). تدور أحداث هذه القصيدة حول صبيّة حسناء اسمها «ليلي» جاءت مع أهلها إلى القاهرة هاربة من الفقر، فكان والداها يسوقانها إلى القارعة حتى اتخذت من التسوّل والكدية مهنة لها. فبدأت تنمو واتخذ جسمها يتكامل نضجه وتتفجر أنوثتها، وعينُ والديها ترنو إليها بنظرةٍ صامتةٍ، فسوّل لها والداها طمعاً في الكسب الكثير، فكرة العمل في إحدى الحانات وما كان عليها إلاّ أن توافق، دخلت معترك العمل الجديد وبدأت تتعرض لِما تتعرض له مثيلاتها من إساءة ومغازلة ومراودة وإغواء...، وكانت تصد مرة وتجامل مرّة أخرى، إلى أن وقع في روعها من بين الرواد شاب تظاهر بالثروة والشرف ونبل الهدف، فحسبت أنه متيم صادق وأنه الخلاص الوحيد من ذل المهنة. وقد صوّر مطران هذه الأحداث أجمل تصوير وصولاً إلى لحظة وقوع ليلى في شرك الشاب المخادع وانفراده بها فيقول:

فَراغَ بِها في جُنحِ أَليلِ أهْيَـمِ كَهَمٍّ عَلى صَدرِ الوجودِ مُخيِّمِ
إلى رَبضٍ قَفرِ المسالكِ مُظلمِ مُعدٍّ لِيُؤتَى فيه كُلُّ مُحرّمِ

بِما ثَمَّ مِن روعٍ ومِن شَجرٍ جَثلِ

فَطارتْ به نَفسُ الفَتاة تَروُّعا فَراودَها عَن نَفسِها مُتَضَرِّعا
فَعَفَّتْ فَمَنّاها، فَزادَتْ تَمَنُّعا فأقسَمَ إلاّ أن يَموتا إذاً معا
طَعيني حَديدٍ بَين كَفَّيه مُستَلّ

(مطران، ١٩٦٧: ٢٣٨/١ – ٢٣٩)

غير أنه ظل يمنيها ذلك إلى أن غرَّر بها بعد طول ممانعة ونالَ منها بغيتهُ الدنيئة ثم تنكر لها وكشّر عن أنيابه ورفض أن يسترها بعد أن حملت منه فأخذت تحايله ولكن من غير جدوى ويتركها مضطرة إلى التخلص من ذلك الجنين فيقول:

وكان الدُّجَى قد رقَّ حتى تَصَدَّعا وهَبَّ بشيرُ الصُّبح يَرتادُ مَطلعا
فَما زالَ يَجلو خافياً و مُقنّعا إلى أن نَضَا أدنى السُّتُورِ و قد وَعَى
دَماً طاهراً أجراه إثْمُ فَتىً نَذلِ

دمٌ كان سرّاً في البَتُول مُقدَّسا فَلمّا أَراقَته ابتذالاً تَدَنَّسا
أفي لحظةٍ تَغدُو المصونةُ مُومِسا وتُضحِي عَروسُ البَغي إكليلُها الأَسَى
ومَرقَدُها بعضُ الحِجارةِ والرَّملِ

(المصدر نفسه : ٢٣٩/١)

Archive of SID

www.SID.ir

وبعد أن تقتل جنينها يستفيق ضميرها وتأبى رومانسية مطران الشرقية الممزوجة بالصوفية إلا أن ينتصر الضمير الإنساني عند «ليلي» فتقر بأنها شريكة بالجريمة التي اقترفتها والذي أجبرها على فعلها ذلك الشاب المخادع، موصيّة ولدها أن يدعو لها بالمغفرة في عالم السنى وأن يدعو الله تعالى أن يسلط عذابه على والده. فيقول مطران على لسان ليلي:

تَمــوتُ و ما سلَّمتَ حتى تُودِّعا وأمُّك تَسقيك السُّمــومَ لِتَصرعا
وتَنفيك مِن جوفٍ به كنتَ مُودَعا لِتخلــصَ مِن عيشٍ ثقيلٍ بِما وَعَى
مِنَ الحُزنِ والآلامِ والفَقرِ والذُّلّ
فإن تَلقَ وجهَ الله فــي عالَم السَّنَى فقُل ربــي أغفِر ذَنبَ أمي مُحسِنا
فَما اقتَرَفَت شيئاً ولكــنَّ أبي جَنَى عَلَينــا فَعاقِبــه بِتَعذيبــه لَنــا
وأَمطِرهُ ناراً تَبتليه و لا تُبلي

(المصدر نفسه : ۲۳۹/۱)

نلاحظ أن هذه القصيدة تحوي جميع مميزات شعر مطران مثل الخيال، والعاطفة، والتصوير، وحسن السبك. فلا شك أن مطران يروي قصته متسقة الحوادث فلا مجال إلى الإخلال في سياقها.

وهنالك قصائد أخرى تمثل القصص الاجتماعية وأحداثها مستقاة من الواقع مثل قصيدة «فاجعة في هزل» والتي يمهد لها الشاعر بقوله: «جرت أحداث هذه الحادثة في قرية بلبنان وذكر الشاعر بعض شهودها» (مطران، ۱۹٦۷: ۳٦/۱). فالقصيدة واقعية وقد مزج الشاعر فيها ثنائية (الجد والهزل) لتفسير ثنائية (الحياة والموت)، فقد لقى شاب حتفه إثر قيامه بحيلة ابتغى من ورائها لفت أنظار النساء إليه وفجأةً تحول الهزل إلى جد وإذا بالشاب يفارق الحياة بعدما أراد تمثيل دور الميت، والقصة هي كما يصفها الشاعر أن رهطاً من ثمانية شباب كانوا يتنادمون في قرية من قرى لبنان في أحضان الطبيعة الجميلة ولا يروق لهم حديث إلا عن الحُسن والحسناء وإذا بهم يسمعون أصوات غناء لنسوة بجوارهم فقام فتى جرئ منهم وعرض على أصدقائِه حيلة يحتالونها ليحضوا برضا النساء ومجالستهن، فتظاهر الشاب أنه ميت وقام أحد الرفقاء ينعاه للضيعة فهرعت النسوة مسرعة إلى ذلك المكان وظن الأصدقاء أنهم نجحوا بحيلتهم وإذا بصاحبهم ميّت حقاً يقول:

Archive of SID

www.SID.ir

فتَبدَّلت أفراحُهم فـــي لحظـــةٍ بمناحـــةٍ، و ســـــرورُهُم ببـــكاءِ
وأباهم هذا المزاح مـــن الردى في شـــر ما يبكـــــي من الأرزاءِ

(المصدر نفسه: ١/٣٧)

وفي «غرام الطفلين» يروي قصة طفلين فتى وفتاة شبّا معاً على الهوى ثم يتفرقان كل إلى مدرسة فيتألمان لهذا النوى ويتراسلان – وهما بعد لا يحسنان الكتابة – بالذكر تراسل القلب للقلب. وما أن عرفا خط الحروف حتى كتب الفتى «سلمي» وخطت الفتاة «يوسف»، فكأن هاتين اللفظتين جمعتا كل المعاني. ويبقى اسم «سلمي» محفوراً في قلب «يوسف» الذي يظل على نار البعاد يبث أشواقه إلى حبيبته.كذلك تتألم الفتاة في مدرستها، أهلها يغون لها أن تهنأ بتحصيل العلم وهي ترى في ذلک كل الشقاء وتأسف لعهد الصبي يضيع بغير حب. وتتمنى لو كانت مثل الطيور تمرح هانئة، كل أليف وأليفته (جحا، ١٩٩٥: ١٤١).

وفي «وفاء» يقصّ الشاعر قصة فتاة عوادة جرت في مصر، ويبدأ قصته بوصف محاسن الفتاة التي تتسوّل في الشوارع بيد أنها تحافظ على شرفها رافضة كل ما يبذل لها من ثمن. في يوم من الأيام رآها فتى وسيم وثري، فغازلها وهي أعرضت عنه، فحاول أن يتقرّب منها بالمال فأبت، ثم صادفها ذات يوم في حديقة وأخذ يظهر لها حبه فهي كشفت له عن رقة حالها وضعة حسبها وأنه لا يمكن أن يتزوّج منها ويستطيع أن يجد فتاة أجمل منها وأرفع مجداً، ولكن الفتى أكد لها صدق كلامه:

فَقـــالَ لَها: بَل يَشهَـــدُ اللهُ بَينَـــا و أَسقـــامُ قَلبـــي الوالِـــهِ المتـــوجَّـــعِ
وتَشهَدُ هذه الشَّمسُ عندَ غُروبـــها و ما حَـــولَنا مِن نـــُورِها المـــفرَّعِ
ويَشهَدُ ذا الرَّوضُ الأريضُ ودَوحُه و ما فيـــه مِن زَهـــرٍ و عِطرٍ مُضَوَّعِ
وَهَذي الظّلالُ الباسِطاتُ أَكُفَّـــها وَهَذي الشِّعـــاعُ المومِئـــاتُ بِـــأذرُعِ
وَهَذي المياهُ النـــّاظـــراتُ بأعيـــنٍ وَهَـــذي الغُصُونُ المُصغياتُ بِـــمَسمَعِ
بأنّي لا أَبغِـــي سِـــواک حَليـــلَةً ومَهما تَسُمني صَبوتـــي فيـــک أخضَعِ

(مطران، ١٩٦٧: ١/١٣٤)

فيتعاهدان على الحب والوفاء، ويتزوجان، ولا يلبث حتى تصاب الفتاة بمرض عضال، والشاب يتوجّع على أساها قلبه، ويظهر لها البشاشة، وإذا بها تخبره أن الموت قد اقترب منها وتطلب منه أن يبتعد عنها وأن يتمتع بشبابه، لكن الفتى يأبى أن تموت حبيبته ويعيش بعدها

Archive of SID

www.SID.ir

فما أن رحلت من عالمه حتى قتله اليأس والتحق بها إلى العالم الآخر. وهكذا تنتهي القصة وقد صوّر فيها مطران الوفاء أحسن تصوير، وقصته هذه التي تنتهي بمأساة، إذ يموت البطلان متوفرة فيها شروط القصة من عرض وعقدة وحل (جحا، ۱۹۹۵: ۱۳۵).

٤. نتيجة

وأما أهم النتائج التي توصل إليها الباحث فهي:

- إن مطران في كلا النوعين من قصصه التاريخية والاجتماعية كان قريباً من الشعب يتفهّم جيداً عقليّات الناس وطباعهم وأذواقهم، لذلك وظّف كل إمكاناته الفكرية والثقافية والشعرية في أداء مهمة واضحة محددة، هي الدفاع عن كل مستضعف.

- وإن كان مطران في قصصه التاريخية قد فجّر غضبه وثورته ضد المتجبّرين والمتسلّطين، فهو في قصصه الاجتماعية سلّط الأضواء على الجانب الواقعي المؤلم؛ فبدت رومنطقية بشكل أعنف وفيها حنين إلى عالم أبقى وأخلد من دار الفناء وهو عالم الخيال، ويمكن القول إن الهدف الأساسي الظاهر لدى الشاعر، هو مهاجمة كل ظلم والمطالبة بالحرية واستعادة السلام المفقود في نفوس تتنازعها الرذائل والشهوات.

- نرى أيضاً شخصية مطران في قصصه الاجتماعية تظهر واضحة جلية. فهو اجتماعي، دقيق الملاحظة، يعالج مشاكل الحب لما كان له من تأثير عليه. وهو عطوف رؤوف ينتصر للمظلوم ويدافع عنه. ورؤيته دقيقة لالتقاط المشاهد، فيصف الوفاء ويصور الفقر ومأسي الحياة والفوارق الاجتماعية ويدعو إلى الحرية وإنصاف المظلومين.

- إن قصص مطران الشعرية هي صور من الحياة البشرية بعضها واقعي وأكثرها محتمل الوقوع يلوّنها خيال الشاعر الخلاق كيفما يشاء، والهدف منها هو إثارة الأمة العربية في مواجهة الاستبداد العثماني ومحاربة الاستعمار، وكان يأخذ التاريخ مذهباً للتقيّة له حتى لا يعرّض نفسه للسجن والاضطهاد والهلاك.

- وأخيراً مطران في شعره القصصي يراعي القصة من عرض وعقدة وحل ويتقيد بها في أكثر الأحيان. كذلك عنصر التصوير ظاهر في قصص مطران، فالألوان مضبوطة بقدر وأشكال منقولة بقوة، والحركة ملائمة للسرد والعرض والحوار، ذلك واضح في «فتاة الجبل الأسود» و«فنجان قهوة» و«غرام طفلين» و«نيرون» وغيرها.

Archive of SID

www.SID.ir

المصادر

أمين، أحمد، *النقد الأدبي*، القاهرة، دار النهضة المصرية، الطبعة الخامسة، ۱۹۸۳.

الحاوي، إيليا، *خليل مطران طليعة الشعراء المحدثين*، لبنان، دارالكتاب اللبناني، ۱۹۷۸.

جحا، ميشال، *خليل مطران باكورة التجديد*، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات، الطبعة الثانية، ۱۹۹۵.

خفاجي، محمد عبدالمنعم، *دراسات في الأدب الجاهلي والإسلامي*، بيروت، دارالجبل، ۱۹۹۲.

خليل، إبراهيم، *مدخل لدراسة الشعر العربي الحديث*، عمان، دارالمسيرة، الطبعة الثانية، ۲۰۰۷.

ضيف، شوقي، *دراسات في الشعر العربي المعاصر*، القاهرة، دارالمعارف، الطبعة العاشرة، ۲۰۰۳.

ضيف، شوقي، *الأدب العربي المعاصر في مصر*، مصر ، دار المعارف، الطبعة العاشرة، ۱۹۹۲.

الطباع، عمر فاروق، *الرفض في الشعر العربي المعاصر*، بيروت، لبنان، ۲۰۰۶.

الطناحي، طاهر أحمد، *حياة مطران*، القاهرة، الدارالمصرية، ۱۹۶۵.

عطا، محمد، *خليل مطران*، مصر، دارالمعارف، ۱۹۵۹.

عشقوتي، منير، *خليل مطران شاعر القطرين*، بيروت،: دارالمشرق، ۱۹۹۱.

عويضة، كامل محمد، *خليل مطران شاعر القطرين*، بيروت، دارالكتب العلمية، ۱۹۹٤.

الغذامي، عبدالله، *النقد الثقافي*، بيروت، لبنان، المركز الثقافي العربي،۲۰۰۱.

الفاخوري، حنا، *الجامع في تاريخ الأدب العربي*، طهران، منشورات دار ذوي‌القربى، الطبعة الثانية، ۲۰۰۳.

القيسي، نوري‌حمودي، *لمحات من الشعر القصصي في الأدب العربي*، بغداد، منشورات دارالجاحظ للنشر،۱۹۸۰.

فرهود، أحمدعبدالله، *تاريخ شعراء العربي (خليل مطران)*، حلب، دارالقلم العربي، ۱۹۹۸.

مطران، خليل، *ديوان الخليل، أربعة أجزاء*، بيروت، لبنان، دارالكتاب العربي، الطبعة الثالثة، ۱۹۶۷.

مطران، خليل، «*حديث مع خليل مطران*»، *الطريق*، مجلد ٤، العدد ١٤، ٣-٤، ۱۹۵۷.

مندور، محمد، *محاضرات عن خليل مطران*، القاهرة، معهد الدراسات العربية العالية، ۱۹۵٤.

Archive of SID

www.SID.ir